Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

البعد العَقَدِي في الشعر الجاهلي: دراسة تحليلية وصفية

أمينة عبدالله الحشاني
قسم اللغة العربية - كلية التربية – جامعة بنغازي

http://artsc.uob.edu.ly

arts.jour@uob.edu.ly

Recived date: 07/11/2025
Accepted date: 29\12\2025
Volume no: 85

الملخص

إن حاجة الإنسان إلى الدين حاجة ملحة، فالإنسان بطبيعته كائن عميق التفكير، كثير السؤال، يتساءل من أين أتيت وإلى أين المصير، كائن يلفه الغموض وتتربص به المخاطر، يرى الفناء يطوقه أينما توجه، وفي كل حين، فكانت حاجته إلى قوة تحميه وتدافع عنه، لكي يستأنس في هذا العالم المملوء بالمخاطر. لجأ الإنسان إلى الطبيعة؛ فقدس بعض ظواهرها، بعد أن أضفى عليها من خياله قوى روحية فاعلة ومقدسة، عبدوا النجوم والكواكب بل وُجِد من التفَّ حول طوطم معين واتخذه حامياً له. العرب كغيرهم من البشرية عبدوا النجوم والكواكب كالشمس والقمر والزهرة كما أضفت أخيلتهم قوى روحية لأحجار (الأصنام والأوثان) فعبدوها ظنا منهم أنها تقربهم إلى الله زلفى، وقد أشار القرآن إلى هذا، كما جسدت طقوسهم وأشعارهم هذا الاعتقاد، و تشير بعض الدراسات إلى أنهم كانوا قريبي إلى الطوطمية .لقد جعل العرب لهذه الأديان شعائر وطقوسا تنظم العبادة والحج وقربوا لها القرابين ، كما اعتقدوا بعض الأساطير التي وصلتهم من الموروث السابق لهم هذا الموروث يمثل البُعْدَ العَقدي الذي يصوره شعراء هذا العصر، غير أن هذا الموروث جاء ذكره نادرًا في الشعر بسبب تجاهل الرواة للشعر الوثني، ولكننا نعثر على ذكر لها في بعض أشعارهم وإن كانت قليلة.

الكلمات المفتاحية:

الشمس، الآلهة، اللات والعزى، الخمر، الطوطمية

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

Abstract

Man's need for religion is a pressing one. By nature, human beings are deep thinkers, full of questions—they wonder where they came from and what their destiny is. They are surrounded by mystery and threatened by dangers, constantly aware of the looming presence of death wherever they turn. This created a need for a higher power to protect and comfort them in a world full of perils. Humans turned to nature, venerating some of its phenomena, projecting onto them spiritual and sacred powers drawn from their imagination. They worshipped stars and planets, and some even gathered around specific totems, believing them to offer protection. The Arabs, like other peoples, worshipped celestial bodies such as the sun, moon, and Venus. They also attributed spiritual powers to stones (idols) and statues, believing these would bring them closer to God. The Qur'an referenced this, and their rituals and poetry reflected these beliefs. Some studies even suggest that they were close to practicing totemism. The Arabs established rituals and ceremonies for these religions, organizing acts of worship and pilgrimage, and offering sacrifices. They also believed in myths passed down from earlier generations. This legacy represents the theological dimension reflected in the poetry of that era. However, references to this heritage are rare in poetry due to narrators' neglect of pre-Islamic pagan poetry. Nevertheless, some mentions can still be found in the works of a few pre-Islamic poets, though they are limited.

Keywords:
Religion, deep thinkers, Human Nature, pre-Islamic poets, practicing totemism

المقدمة

الإنسان بطبيعته كائن عميق التفكير، كثير السؤال، يتساءل من أين أتيت، وإلى أين أصير، المستقبل أمامه مجهول، والموت يتربص به من كل مكان وكل وقت، فكانت حاجته إلى الدين ملحة لمواجهة هذه المخاطر في عالم غير مستأنس، لذا أول خطوة خطاها العقل البشري لتأنيس الطبيعة من حوله، هي عبادة مظاهر الطبيعة بعد أن خلع عليها خياله قوى روحية فاعلة ومقدسة(علي البطل،1980 :39) في المجتمعات الزراعية القديمة قدَّس الإنسان الأرض بوصفها الأم وفيها مظاهر الخصوبة،

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

لكن مرحلة التبدي أضعفت من قيمة الأرض في الحياة الاقتصادية العربية (علي البطل، 1980 :43) .

كان أكثر العرب في الجاهلية وثنية، يؤمنون بقوى إلهية كثيرة تنبثُّ في الكواكب ومظاهر الطبيعة كما أنهم كانوا قريبي عهد إلى الطوطمية وهي نظام اعتقادي أو ديني تقليدي، تعتقد فيه جماعة بشرية أن لها صلة خاصة بكائن طبيعي مثل حيوان أو نبات تعتقد أنه يحميها ويرمز لهويتها، تضفي عليه الألوهية والتقديس، وتنسج حوله أساطير تربط الجماعة به، إذ تلتف جماعة منهم حول طوطم معين تتخذه حامياً لها ومدافعا عنها وقد دلَّت أسماء قبائلهم " كلب وثور وثعلبة على ذلك (شوقي ضيف، 1960 ك 89)كما أنهم عبدوا الكواكب والنجوم و يعتقد أن عبادة الكوكب والنجوم جاءتهم من الصابئة وبقايا الكلدانيين (شوقي ضيف ، 1960: 89) وكانت الشمس أهمها كما عبدوا القمر وعبروا عنه بأسماء وصفات متعددة، ومن الأم الشمس والأب القمر جاء ثالث الثالوث الابن عثتر أو كوكب الزهرة الذي عُبد بوصفه ذكرا في الجنوب وعثتر سماين أو عثتر شرقن أي الشارق ويعتقد بعض المستشرقين أنه رب الصنم " العُزى" وهي أنثى لأنه عُبد في الشمال على أنه آلهة لا إله وكان يقدم له القرابين من البنين والبنات(جواد علي، ج 6 ، 1968: 238).

كانت لهذه الأديان الوثنية معابد متفرقة وكهنة، ولها طقوس تنظم للعبادة والحج، فقد كان الناس يحجون إليها، ذكر المسعودي أن الكعبة كانت بيتاً لزُحل من بين سبعة بيوت معظمه متخذة على أسماء الكواكب السبعة المعروفة (المسعودي، مروج الذهب، ج2: 226) وابن الكلبي في كتابه (الأصنام) يجعل لكل صنم بيتاً محجوباً ويذكر كعبات غير كعبة مكة.

من خلال هذه الطقوس والشعائر التَّعَبُدية نشأت آداب الأمم، وما الآداب التي نقرأها إلا أساطير هذه الأمم "مختلطة بتاريخها القومي ومعتقدها الديني، وممارساتها في مواجهة حياة خشنة وطبيعة عاتية، ومحاولة التحكم في ظواهرها بالسحر والصلاة في ذات الوقت" (علي البطل، 1980: 7) كما استخدم الإنسان الأساطير في الشعر فمثل هذا عودةً حقيقية إلى المنابع البكر للتجربة الإنسانية(أنس داود، د.ت: 11) فالأسطورة كما يراها أنس داود" الجزء الناطق من الشعائر البدائية، الذي نمَّاه الخيالُ الإنساني، واستخدمته الآداب العالمية " (أنس داود، د.ت:12)لكن أنس داود يرى أن ندرة ذكر الشعائر والطقوس في الشعر الجاهلي كان بسبب " تجاهل الرواة هذا الشعر الوثني،يقول: "ومن الطبيعي أن يلحق بكثير من النصوص التي وصلت إلينا كثير من تحريف الكلم عن مواضعه، ومن إخفاء معالم هذه الوثنية، فغُيّرتْ كلمات ونسفت من جديد قصائد، واخترعت

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

أخرى، حتى جاء الشعر الجاهلي – من وجهة النظر هذه- كأن لم يمسه سوء".(أنس داود، د.ت:52) ومن ثم أُضعف شأن الأساطير فخلت منها المعلقات وهي أطول قصائد العرب وأشهرها، كما قل فيها ما يجسد عقائد العرب وأديانهم فلم يذكر منها إلا قليل وأكثر هذا القليل ورد في معلقة زهير بن أبي سلمى (بدوي طبانة: 293) إضافة إلى إغفال دراسة النواحي الأنثروبولوجية لجزيرة العرب، فقد كان هذا الإغفال عقبة تحول دون التعرف على موروث الجاهليين في إطاره الحقيقي، (أنس داود، د.ت:49)، وكما هو معلوم فالأنثروبولوجيا علم يهتم بمعرفة الإنسان معرفة كلية وشمولية من حيث قيمه: جمالية، دينية، أخلاقية، اقتصادية، ثقافية، اجتماعية، ومكتسباته الثقافية(تلوين، 2011: 32).

وتتناول هذه الدراسة " البعد العقدي في الشعر الجاهلي" ونعني به كل ما كانت عليه العرب في عصر ما قبل الإسلام يمثل الروح العقدية مثل عبادة الأوثان والأصنام، والإيمان بالجن وتأثيرهم ، والنذور والذبح لغير الله، والإيمان بالأساطير ،كل ما يمثل بُعْداً عَقَدياً في حياتهم الجاهلية. من خلال ما وصل من أشعار العرب، فالمعروف أن الشعر العربي لم يصلنا كاملاً وقول أبي عمرو بن العلاء يؤكد ذلك إذ يقول : " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلُّه، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثير" (ابن سلام،1913: 10) ويشير عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى ضياع معظم الشعر بعد مجيء الإسلام قائلاً " تشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزوا فارس والروم، ولَهِيتْ عن الشعر وروايته فلما كثُر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر فلم يئلوا إلى ديوان مُدون ولا كتاب مكتوب فألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا اقلَّ ذلك وذهب عنهم منه أكثره. "(ابن سلام، 1913: 10) واعتمادا على المنهج الوصفي التحليلي و الاستقرائي نسعى إلى معرفة مدى تأثير الموروث العَقَدي والأسطوري الذي يمثل الحياة الثقافية والروحية في الشعر، وكيف وصلته هذه الثقافات، وهل كان للتوحيد صدى في شعر ما قبل الإسلام ، وهل كانت الطوطمية من عقائد العرب و ما صدها في شعر ما قبل الإسلام.

نحاول في هذا البحث الإجابة عن هذه التساؤلات المطروحة التي نسعى من خلالها إلى إبراز الجانب الروحي في شعرنا القديم.

العقيدة لغة: من العقد ويعني التثبيت أو الربط قال ابن منظور العقيدة ما يعتقد في القلب والعقد ضد الحل والعقد الربط والعقيدة ما يربط به القلب ويثبت عليه. (ابن منظور ، 2005: مادة عقد)

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

وهنا نطلق على ما مارسه العرب قبل الإسلام من عبادات ومعتقدات وصفَ " بعد عَقَدي" لارتباطه بمعتقدهم الديني:

المبحث الأول: التوحيد

كان العرب يقدسون الأصنام ويقدمون لها القرابين لتقربهم إلى رب السموات لكن بعضهم أدرك عجز الأصنام عن دفع الأضرار، أو جلب المنافع وتقديم العون ، فازدروها واستهانوا بها، ذكر الكلبي في كتابه الأصنام أن رجلا أقبل بإبل له ليقف على الصنم " سعد" تبركًا، فلما أدناها منه نفرت وكان يراق عليها الدم فذهبت في كل وجه وتفرقت عليه .. فتناول حجرا فرماه به، وقال: لا بارك الله فيك إلهاً، أنفرت عليَّ إبلي ثم خرج في طلبها حتى جمعها وانصرف عنه وهو يقول: :(الكلبي ، 1905 : 37)

أتينا إلى سعدٍ ليجمعَ شَمْلَنَا فشتتنا سعدٌ فلا نحن من سعدِ
وهل سَعْدٌ إلا صخرةٌ بِتنُوفَةٍ من الأرض لايُدْعَى لغيٍّ ولا رُشْدِ

كما أن لمُزيْنة صنمٌ يقال له " نَهْمٌ" وكان سادنُ نَهْمٍ يسمى خزاعي بن عبدنهم ، حين سمع بالنبي- صلى الله عليه وسلم- ثار إلى الصَّنم فكسره وأنشأ يقول:(الكلبي: 40)

ذهبتُ إلى نُهمٍ لأذبح عنده عتيرة نُسكٍ، كالذي كنتُ أفعلُ
فقلتُ لنفسي حين راجعتُ عقلها أهذا إلهٌ أبكمٌ ليس يعقِلُ
أبيتُ، فديني اليوم دين محمدٍ إله السماء الماجدُ المتفضِّلُ

ثم لحق بالنبي فأسلم

ويقول أمية بن الأسكر(الكلبي: 40)

إذا لَقِيتَ راعيَين في غنمْ أُسيِّدَين يحلفان بنُهُمْ
بينهما أشلاء لحمٍ مُقْتَسَمْ فامضِ، ولا يأخُذْكَ باللحمِ القرَمْ

وعبر عدي بن زيد" و كان نصرانياً" (الأصفهاني، ج2 ،د.ت: 89) عن رفضه الأصنام رفضاً صريحاً لأنها من صنع يد الإنسان قال:

ما لليل أشباح تمر كأنها خيالات طيفٍ أو سيول تلاحق
أتعبُدُ من نحتْ يداك له خشبا إذاً فهو للأعداء سهل مُطارق

وفي بعض أشعار الجاهلية ومضات روحية تأملية منبثقة عن الفطرة الدينية الألوهية تدل على الإيمان بإله أعظم، وقد أشار شوقي ضيف إلى ذلك في قوله " نجد استعدادا لفكرة الإله الواحد،

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

وخاصة عند طائفة تدعى باسم الحُنفاء، وكانت تشك في الدين الوثني القائم، وتلتمس ديناً يهديها في الحياة." (شوقي ضيف، 1960: 96)

عوامل متعددة أدت إلى تراجع العرب عن عبادة الأوثان حين أيقنوا أنها لا تضر ولا تنفع، وأن هناك خالقا واحداً هو رب السموات والأرض (جواد علي، ج5: 424) وقد تراجعت بعوامل نجملها فيما يلي:

- ضعف العقائد الوثنية خارج الجزيرة العربية وقيام مدارس فلسفية بنقض تعدد الآلهة (جواد علي، ج5: 53)
- تغلغل حركات التبشير بالدين المسيحي وبالدين اليهودي بين العرب (أنس داود،د.ت: 56)
- ظهور الكنائس العربية صوتاً مسموعاً في الجدل الديني (جواد علي، ج6، 72، 213)
- تذكر بعض الروايات " أن محاولة القضاء على أخبار الوثنية وذكرياتها إنما ظهرت قبل الإسلام بقرون ، وأن الإسلام حين ظهر في شبه الجزيرة كانت أكثر أخبار الجاهلية القديمة قد طُمِستْ" (جواد علي، ج1: 68)
- ظهور نزعة الحنفاء وهم مجموعة من الأذهان الصافية رفضوا عبادة الأصنام ودانوا بالتوحيد (جواد علي، ج6: 293/ ج5: 370)

وهذا يدل على إدراك للتوحيد وعبادة الله دون شريك، مما يظهر أن بعض الجاهليين كانت لديهم مفاهيم إيمانية صحيحة قبل الإسلام،فكان ورقة بن نوفل كما يذكر الأصفهاني أنه" اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية وطلب الدِّين وقرأ الكتب وامتنع من أكل ذبائح الأوثان" (الأصفهاني،ج3، د.ت: 113) وتُنْسبُ إليه هذه الأبيات (الأصفهاني، ج3 :115)

لقد نصحتُ لأقـوامٍ وقلتُ لهم ... أنا النذيرُ فلا يغرُرْكُمُ أحدُ
لا تعبُـدُنَّ إلهاً غيرَ خالقِكم ... فإن دعوكم فقولوا بيننا حدَدُ
سبحان ذي العرش سبحاناً نعوذ به ... وقبلُ قد سبح الجُوديّ والجُمُدُ
مُسخَّرٌ كلُّ ما تحت السماء له ... لا ينبغي أن يُناوي مُلكَهُ أحدُ
لا شيء مما ترى تبقى بشاشتُهُ ... يبقى الإلهُ ويُودي المالُ والولدُ

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

لم تُغْنِ عن هُرمزٍ يوماً خزائنهُ والخُلْدَ قد حاولت عادٌ فما خلدوا
ولا سليمان إذ دان الشعوبُ له والجنُّ والإنسُ تجري بينها البُرُدُ

وترك قس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل عبادة الأصنام ومالا إلى التوحيد، كما كان لأصحاب هذه المفاهيم دعاء خاص يشبه صلاة التأمل والدعاء لله وحده، وتذكرُ كتب التاريخ أن ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل كانا يصليان لله وحده ولا يشركان به شيئا، وفي شعر زيد بن عمرو إشارة إلى ذلك إذ يقول: (الأصفهاني، ج3: 121)

أدينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أرى أدين لمن لا يسمع الدهرَ داعيا
أقول إذا صليتُ في كلِّ بيعةٍ تباركتَ قد أكثرتَ باسمك داعيا

كما تبرز في أشعار أمية بن أبي الصلت ميول إلى الحنفية فهو في شعره يوحد الله ويرغب في جنته ويخاف جحيمه يقول (ديوانه: 8)

ألا كل شيء هالك غير ربنا ولله ميراث الذي كان فانيا

ويقول: رب لا تحرمني جنة الخلد وكن رب بي رؤوفا حفيا (ديوانه:93)

وينسب إليه أيضا قوله (ديوانه: 9)

إله العالمين وكل أرض ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعا شدادا بلا عمد يُرِيْنَ ولا رجال
وسواها وزيَّنها بنورٍ من الشمس المضيئة والهلال
وشقَّ الأرضَ فانبجستْ عيوناً وأنهاراً من العذب الزلالِ

كما ينقل ابن كثير في البداية والنهاية أبياتاً ينسبها إليه تشير إلى قصة سيدنا موسى مع فرعون وقصة سيدنا يونس والحوت، :(ابن كثير،ج1، 2003: 40)

رضيتُ بك اللهم رباً فلن أرى أدينَ إلهاً غيرك الله ثانيا
وأنت الذي من فضل منٍّ ورحمة بعثتَ إلى موسى رسولا مناديا
فقلتَ له اذهب وهارون فادعوا إلى الله فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له أأنت رفعتَ هذه بلا عمد، أرفق إذاً بك بانيا
وقولا له من يرسلُ الشمس غدوة فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا
وقولا له من يُنبتُ الحبَّ في الثرى فيصبح منه البقل يهتزُّ رابيا
ويخرج منه حبه في رؤوسه وفي ذاك آياتٌ لمن كان واعيا

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

وأنت بفضل منك نجيت يونسا وقد بات في أضعاف حوت ليـاليا
وأني لو سبحتُ باسمك، ربنا لأكثر إلا مـا غفرت خطائيـا
فرب العباد ألق سسيبا ورحمة علـيَّ وبارك في بنِّـي ومـاليـا

كما نقرأ في بعض أشعار زهير بن أبي سلمى تأملات وإشارات إلى الإيمان بإله عظيم، يعلم الغيب وما يكتمه الإنسان، قال تعالى:(يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) 19 غافر

يقول:(زهير بن أبي سلمى،1964: 81)

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم

ويتبرأ أبو زيد بن عمرو بن نفيل من العزى وهبل وغنم مهتدياً إلى عبادة إله واحد (الأصفهاني، ج3: 118 وابن كثير،ج2، 2003: 202) مع اختلاف في الرواية:

عزلتُ الجنَّ والجنان عني كذلك يفعل الجلد الصَّبور
فلا العزَّى أدينُ ولا ابنتيها ولا صنمي بنى غَنمٍ أزور
ولا هبـلاً أدين وكان ربَّـاً لنا في الهر إذ حِلمي صغير
أرباً واحـدا أم ألف ربَّ أدين إذا تقُسِّمت الأمـورُ
ألم تعلم بأن الله أفنـى رجالا كان شأنهم الفجور
وأبقـى آخـرين ببر قـومٍ فيربو منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يعثُرُ ثاب يوما كما يتروَّحُ الغُصنُ النضيرُ
عزلت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الجلد الصبور

المبحث الثاني: الصلاة

كانت الصلاة في الجاهلية مختلفة بين القبائل والمناطق وكان من بين العرب حنفاء بقوا على التوحيد ورفضوا عبادة الأصنام والأوثان، وكان بعضهم يقوم بأعمال تشبه الصلاة.

وصلاة العرب في الجاهلية كما وصفها في القرآن الكريم قال تعالى: " وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية" الأنفال 35

أي أن قريش كانت تطوف بالكعبة عراة تصفِّرُ وتصفِّقُ، المكاء: الصفير، والتصدية :التصفيق(ابن كثير، تفسيره، ج3، 1984: 314)

وقال تعالى:" والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " 3 الزمر

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

يعني الأصنام والخبر محذوف أي قالوا مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى"

اخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد:" مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، قال قالوا هم شفعاؤنا عند الله وهم يقربونا إلى الله زلفى يوم القيامة للأوثان، والزلفى القرب"

الطبري، الطبري،ج1992،23: 123)

ويقول ابن كثير إنما يحملهم على عبادتهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا.

إذاً كانت للعرب عقيدة الإيمان بوجود الخالق وقد عبدوا الأصنام وقدموا لها القرابين وأنزلوها منزلة الملائكة ليست لكونها آلهة ولكن تقرباً إلى خالق السموات، ولتكون لهم شفيعا فيما ينوبهم في أمور حياتهم، وهم بفعلهم هذا قد وقعوا في أعظم محرمات الله وهو الشرك وقاسوا (الذي ليس كمثله شيء) بالملوك الذين اتخذوا بينهم وبين الرعية حجابا فلايصلون إليهم إلا بوجهاء وشفعاء ووزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم ويستعطفونهم عليهم .

يشير القرآن الكريم إلى بعض هذه الأصنام التي اتخذ منها العرب آلهة قال تعالى: " أفرأيتم اللات والعُزَّى ومناة الثالثة الأخرى" 19 -20 النجم وقال جلَّ وعلا:" ولا تذرُنَّ ودًّاً ولا سُواعاً ولا يغوثَ ويعوق ونَسْراً" نوح 23

(اللات والعزى، ومناة) أصنام اشتهرت عبادتها عند العرب فقد زعموا أنها مشتقة من أوصاف هي متصفة بها، فسموها (اللات) من (الإله) المستحق للعبادة و (العزى) من (العزيز)و(مناة) من (المنان) إلحاداً في أسماء الله وتجرياً على الشرك به (ابن جرير)

مناة صخرة ضخمة بمكان يقال له المشلل يعبده بنو كعب (الطبري،ج1992،26: 35)

اللات ومناة كان بعض نحوي البصرة يقول إذا سكتَّ قلت اللات وكذلك مناة تقول منات (الطبري،ج1992،26: 35) رأى بعض النحويين أن أصلها " الإلهة" فحذفتْ الهاء للتخفيف وصارت اللات ، وكانت من أشهر الأصنام يقول ابن عباس إن تسمية اللات جاءت بسبب أن رجلا كان يلت للحجيج في الجاهلية السويق فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه ، واللات صخرة كبيرة بيضاء بها نقش وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء ، معظَّمٌ عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تبعهم. (الطبري، ج1992،27: 35)

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

مناة، صنم عبده العرب في الجاهلية، ويعتقد أنه مشتق من الجذر العربي " م.ن.ى" أي الموت والقدر والقضاء، أو من المن بمعنى العطاء والفضل، ويرجح اللغويون أن الاسم متعلق بالمنية أو القضاء أي أن مناة كانت تُعْبد على أنها إلهة القدر أو الموت .

العزى، اختلف أهل التأويل فيها فقال بعضهم إنها كانت شجرات يعبدونها (الطبري،ج1992،26: 35)

وقيل أن اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها.

وقد أشار القرآن إلى ذلك قال تعالى: (أفرأيتم اللات والعُزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذَّكرُ وله الأنثى تلك إذاً قسمة ضيزى إن هي إلا أسماءٌ سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن تتبعون إلا الظَّنَّ وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى.) النجم 19 – 23

وقال ابن زيد :" جعلوا لله تبارك وتعالى بنات وجعلوا الملائكة لله بنات وعبدوهم" (القرطبي،ج27، 1992 : 36)

أما ودّ و سُواع و يغوث ويعوق ونَسْرٌ يذكر الكلبي " أن الحسن بن عُليل قال: حدَّثنا عليٌّ بنُ الصِبَّاح قال: أخبرنا أبو المنذر قال: وأخبرني أبي قال: كان ودّ و سُواعٌ و يغوثُ ويعوقُ ونَسْرٌ قوماً صالحين، ماتوا في شهرٍ، فجزع عليهم ذوو أقاربهم، فقال رجلٌ من بني قابيل" يا قوم هل لكم أنْ أعملَ لكم خمسة أصنام على صورهم، غيرَ أني لا أقدرُ أنْ أجعلَ فيها أرواحاً، قالوا نعم، فنحتَ لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم." (الكلبي: 51) ويذكر ابن كثير أن (يغوث ويعوق ونسراً) كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، فعبدوهم. (ابن كثير، تفسيره ج7، 1984: 127)

أما عن ورود هذه العقائد في أشعارهم فقد نلمس إشارات إليها

يقول :(امرؤ القيس ، 2004: 60)

فعنَّ لنا سربٌ كأن نعاجَهُ عَذارى دَوارٍ في مِلاءٍ مُذَيَّلِ

وهو صنم كان أهل الجاهلية إذا نأوا عن الكعبة نصبوه وطافوا حوله.

وأمية بن أبي الصلت الذي قال عنه أبو الفرج الأصفهاني :" حرَّمَ الخمر وشك في الأوثان، وكان محققا والتمس الدين وطمع في النبوة لأنه قرأ في الكتب أن نبياً يبعث من العرب فكان يرجو أن

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

يكونه " (الأصفهاني،ج4 : 128) يقسم هنا لإبراز صدقه بهذين الصنمين وإن كان ميالا إلى التوحيد لكنه استخدم قسم العرب (القسم باللات والعزى) بسبب تأثره بثقافة عصره العقائدية. يقول:

حلفتُ باللات والعزَّى ومن دان بدينهما إني أستغفر لله ذنبا لستُ أحصيه

ويحلف أوس بن حجر ويقسم باللات والعزى: (ابن الكلبي، 17)

وباللات والعزى ومن دان دينها وبالله إن الله منهن أكبرُ

إن تقديس هذين الصنمين(اللات والعُزى) والقسم بهما يشير إلى مركزية هذه العقيدة في ثقافة العرب ويؤكد الشاعر من خلال قوله (ومن دان دينها) تأثير العبادة في المظاهر الاجتماعية

ويقسم الأعشى في قوله:

فآليتُ لا أرثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تُبكِّرَ بالعُزى

بمعنى أنه لا يشفق على ناقة حتى تقاد وتقدم قربانا لصنم العُزَّى باكرًا، وعمرو بن الجُعيد يبين عظم تركه الخمر كمن تبرأ من اللات بعد أن كان يتعبدها يقول: (الكلبي: 16)

فإني وتركي وصل كأس لكالَّذي تبرأ من لات وكان يدينها

ويقول المتلمس في هجائه عمرو بن المنذر: (الكلبي : 17)

أطْرَدْتني حذر الهجاء ولا واللات والأنصاب لا تئلُ

اتخذت كلبٌ ودا بذُومة الجندل واتخذت مذحج وأهل جرش يغوث

قال الشاعر (الكلبي : 10)

حياك ودُّ فإنا لا يحلُّ لنا لهو النساء، وإنَّ الدين قد عزَما

وقال آخر :(الكلبي : 10)

سار بنا يغوث إلى مرادٍ فناجزناهم قبلَ الصباح

يقول امرؤ القيس:

فدينا بالنُّصبِ من حيث كانوا نصلي لربهم كل باتِ

وفي بيته هذا إشارة إلى الصلاة عند النصب أي الأحجار المنصوبة

استخدم الشاعر الجاهلي هذه الأصنام لدلالات مختلفة تعكس تغلغل العقيدة الوثنية في حياتهم ، كما أنها استخدمت رموزاً للقسم والتعظيم إضافة إلى ورودها في سياق تعبيري للدلالة على القوة والقداسة.

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

المبحث الثالث: الأزلام والنُصُب

حجارة غير منصوبة اتخذها العرب وكانوا يطوفون بها ويَعْتِزُون عندها، يسمونها الأنصاب ويُسمون الطَّواف بها الدَّوَار. (ابن الكلبي: 42)

الأزلام : قداحٌ أو سهام (ثلاث) كانت تستخدم للاستقسام (طلب الحظ أو المصير) يكتب على بعضها " افعل) وعلى بعضها " لا تفعل" والثالث " غُفل" لا كتابة عليه فإذا أراد أحدهم اتخاذ قرار (كالسفر أو الزواج أو الحرب) استقسم بالأزلام ، وقرب هذه الأصنام يتخذون أنصاباً يصبون عليها دماء الذبائح التي يتقربون بها إلى آلهتهم، فكانت الأزلام: وسيلة لاتخاذ القرار، أما النُّصُبُ فكانت مواضع الذبح للأصنام.

وقد أشار القرآن إلى أن هذه العبادة الوثنية رجسٌ من عمل الشيطان، قال تعالى:" يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون" المائدة 90

وقد ورود ذكرها في أشعار الجاهليين ، من ذلك ما ذكره الكلبي أن عامر بن الطُّفيل أتى غَنِيَّ بن أعصر يوما وهم يطوفون بنُصُبٍ لهم، فرأى في فتياتهم جمالاً وهُنَّ يطُفْنَ به فقال:

ألا يا ليت أخوالي غَنِياً عليهم كلَّما أمسَوا دَوَارُ(الكلبي : 42)

ويقول عمرو بن جابر الحارثي:

حلفتْ غُطَيفٌ لا تُنَهنِهُ سِربها وحلفتُ بالأنصاب أن لا يُرْعِدوا

ويذكر الكلبي أن بطن من خولان يقال لهم "الأُدُومُ" كان لهم صنم يقال له " "عُمْيانسُ" يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله -عزَّ وجل- بزعمهم ، فما دخل في حق الله من حق "عُمْيانسُ"، ردُّوه عليه، وما دخل في حق الصنم من حق الله الذي سموه له ، تركوه. (الكلبي 43-44)

وقد أشار أحد الشعراء إلى ذلك في قوله:

أضلهم صنمهمْ عمٌّ أنَسْ كانوا إذا ما الغيثُ عنهمُ احتبسْ

توسلوا إليــه بالذبائحِ أنْ يُمْطَرُوا ، وأعظم القبائحِ

أ ن جعلوا له، ولله نصيب من مالهم، وإن تغيَّبَ النصيب،

أُعطِي للصنم حظ الله وما له لم يُعْطَ للإلهِ

ويذم عنترة بن شداد الاعتماد على الأزلام فيقول:

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

وإذا سُئلتُ عن الفعال فإنني لا أستقسمُ بهجرةٍ أو زُلمِ

ويذكر ابن اسحاق أن ذا الخَلَصة لدوس وخَثْعم و بجيلة وقد استقسم عنده بالأزلام رجل أراد طلب الثأر لأبيه فخرج السهم بنهيه عن ذلك فقال: (ابن هشام، د.ت: 86)

لو كنتَ يا ذا الخلُص الموتُورا مثلي وكان شيخُكَ المقْبورا

لم تنه عن قتل العُداةِ زورا

والنابغة يشير إلى بعض طقوس العبادة الجاهلية فيقول(النابغة الذبياني، 2005: 36)

فلا لَعمرُ والذي مَسَّحتُ كعبتَهُ وما هُريقَ على الأنصاب من جَسدِ

والمؤمنِ العائذاتِ الطيرَ تمسحُهَا رُكبانُ مكةَ بين الغَيلِ والسَّعَدِ

ويقصد الشاعر بالمؤمن الله عز وجل، ويقصد بالعائذات كل حديثة من نتاج الحيوان، أما الغيل فهو الشجر الملتف.

المبحث الرابع: الحـج

تعتبر الكعبة مكانا مقدسا قدسته العرب قبل الإسلام فقد استمد قداسته ومكانته من إبراهيم واسماعيل عليهما السلام، وقد جعل العرب يحجون ويعتمرون على إرثهما عليهما السلام ، فقد كان العرب يطوفون حول الكعبة أسبوعا ويسعون بين الصفا والمروة ، وكانوا يقفون بعرفة ويفيضون منها إلى مزدلفة ثم مِنى، وكانت إفاضتهم من عرفة عند غروب الشمس أما مزدلفة فعند شروقها(ابن الكلبي: 6)، ويذكر الكلبي أن قريشَ كانت تطوف بالكعبة وتقول:(الكلبي: 19)

واللات والعُزى ومناة الثالثة الأخرى فإنهنَّ الغرانيقُ العُلى

وإن شفاعتَهنَّ لَتُرتجى

كما اتخذت قريش مع الكعبة طواغيت وهي بيوت، تعظمها كتعظيم الكعبة، بها سَدنةٌ وحجَّاب، وتهدي لها كما يُهدى للكعبة، وتطوف بها كطوفانها بها وتنحر عندها، وهي تعرف فضل الكعبة عليها لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم عليه السلام ومسجده.

وكانوا إذا حجوا يلبون وقد " حفظت النصوص صورة من التلبية الجاهلية في نشيد نتصوره يؤدَّى جماعياً، في حميا التعبد، وهو قريب في ألفاظه من التلبية الإسلامية، وليس فيه شيء من معاظلات الوثنية، مما يدل على مرحلة من نقاء العبادة ونقاء الصلة بين العابد وربه." (أنس داود، د.ت: 63)

وهذا النشيد هو: (أحمد الحوفي: 400 وما بعدها)

لبيك ربنا لبيك والخير كله بيديك

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لك
إلا شريك هو لك تملكــه وما ملك
أبو بنات بفدك
لبيك يا معطي الأمر لبيك عن بني النمر
جئناك في العام الزمر نأمل غيثاً ينهمـر
يطرق بالسيل الخمر

***

لبيك رب همدان من شاحط ومن دان
جئناك نبغي الأحسان بكل حرف مذ عان
نطوي إليك الغيطان نأمل فضل الغفران
لبيك عـن بجيلة الفخمـة الرجـيلة
ونعمـت القبيلـة جاءتك بالوسـيلة
تؤمـل الفصيلة

***

لبيك حقاً حقاً تعبـداً ورقـا
جئناك للنصاحة لم نأت للرقاحة

***

لبيك عن سعد وعن بنيها وعن نساء خلفها تعنيها
سارت إلى الرحمة ترتجيها

فهم كانوا إذا" عزَّهم المطرُ وغلبهم الجدب، توجهوا إلى آلهة الغيث والخصب." (شوقي ضيف، 1960: 192،193) لكن ذكر هذه الحفلات الدينية وذكر الطواف كان نادرا في أشعار الجاهليين فمثل هذه الحفلات الدينية والمناسبات كالزفاف والموت كانت فرصة " لنسج الأساطير وإنشاء الأشعار التي تدور في فلك هذه الأساطير وتستقي من أحداثها ورموزها.. غير أن فقدنا الكثير من ذلك أيضا، ولعل في صلته بأساطير الجاهلية أكبر سبب في ذلك" (أنس داود، د.ت: 65) غير أننا لانعدم وجود أبيات تشير إلى البيت الحرام والطواف ، فهذا زهير بن أبي سلمى يقسم بالكعبة

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

المشرفة لما لها من مكانة عظيمة ، وقد أشار إلى الطواف وهي من شعائر الحج ، وشرعت منذ عهد إبراهيم عليه السلام (زهير بن أبي سلمى، 1964: 78)

يقول: فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

ونجد أمية بن أبي الصلت يشير إلى البيت الحرام ويقصده للعبادة

يقول: وبيتٍ على جُرزٍ سُوّيت قواعده يميد به البرقُ في الظلماء ويعتصم

أما لبيد بن ربيعة فقد أشار في شعره إلى عظمة البيت الحرام وأن الله أهلك المشركين الذين كانوا يحيطون به يقول:

وأهلك أهل الشرك حول بيته كراعاً وتيماءَ وكانوا هم الألى

ويقسم الأعشى بالكعبة البيت الذي بناه قصي والمضاض بن جرهم (الأعشى، 2005 :177)

فإني وثَوبَي راهبِ اللُّجِّ، والتي بناها قُصَيٌّ والمُضَاضُ بنُ جُرْهِمِ.

واللج: غدير عند دير هند، أما العزاء فهو الشدة.

أما أبوطالب فيقسم بالبيت الحرام ألا يُسلِّمَ محمداً حين تظاهرت قريش عليه فيقول: (ابن هشام،ج1،د.ت: 353)

فلسنا وربِّ البيت نُسلمُ أحمدا لعزَّاءَ من عضّ الزمان ولا كرب

و في قصيدته اللامية يشير إلى قصة إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام حين بناء البيت الحرام وإلى موطئ رجل إبراهيم عليه السلام حين غاصت في الصخرة فصارت على قدر قدمه حافية لا منتعلة يقول أبوطالب: (ابن كثير،ج1، 2003: 154)

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق لبر في حراء ونازل

وبالبيت حق البيت من بطن مكة وبالله إن الله ليس بغافل

وبالحجر المسودِّ إذ يمسحونه إذ اكتنفوه بالضحى والأصائل

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافياً غير ناعل

وتعقيبا على قوله :

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق لبر في حراء ونازل

يقول ابن كثير:" هذا يدل على أن هذا كان من عادة المتعبدين في قريش أنهم يجاورون في حراء للعبادة " (ابن كثير،ج 2، 2003: 5)

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

ويذكر ابن إسحاق قصة اختلاف قبائل قريش في موضع الحجر الأسود وأن كلَّ قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى تحالفوا وأعدوا للقتال، فقربت بنو عبدالدار جفنة مملوءة دماً، ثم تعاقدوا على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسموا لعَقَةَ الدَّم، وبقيت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً ،ثم اجتمعوا في المجلس وأشار عليهم أمية بن المغيرة أن يجعلوا بينهم فيما يختلفون أول داخل عليهم من باب المسجد يقضي بينهم ، فكان أول من دخل عليهم هو الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا رضينا بهذا الأمين فأخذ ثوبا وضع فيه الحجر وأشار على كل قبيلة تأخذ بناحية من الثوب ثم رفعوه جميعاً، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده، وقد نظم هبيرة بن وهب المخزومي هذه القصة شعراً فقال:(ابن هشام ج1، د.ت: 196-197)

تشاجرت الأحياءُ في فصل خطة جرت بينهم بالنَّحْسِ من بعد أسْعُدِ
تلاقوا بها بالبغضِ بعدَ مَودَّةٍ وأوقـد نـاراً بينهم شرُّ موقَـدِ
فلما رأينا الأمـر قـد جدَّ جِدُّهُ ولم يبـق شيءٌ غيـر سلِّ المُهنَّدِ
رضينا وقلنا: العدل أول طالع يجيء من البطحاءِ من غير موعد
ففاجأنا هـذا الأمينُ محمـدُ فقلنا: رضـينا بالأميـن محمـدِ

وتتضح حرمة مكة ومكانتها عند العرب في أبيات لامرأة يقال لها سُبيعة بنت الأحب " الأجب" كانت عند عبد مناف بن كعب توصي ابناً لها يقال له خالد فتعظم عليه حرمة مكة وتنهاه عن البغي وتذكر تبعاً وتذلله لها وما صنع بها :(ابن هشام ، ج1، د.ت: 25.26 و ابن كثير،ج2، 2003: 141)

أبُنيَّ لا تظـلم بمكةَ لا الصغير ولا الكبير
واحفظ محارمها بُنيَّ ولا يغرَّنك الغرَور
أبُنيَّ من يظلم بمكةَ يلق أطراف الشُّرور
أبُنيَّ يُضربْ وجهه ويلُحْ بخـدَّيه السَّعير
أبُنيَّ قـد جرَّبتها فوجدتُ ظالمها يبور
الله أمَّنـها ومـا بُنيت بعَرْصَتِها قُصور
والله أمن طيـرها والعُصْم تأمن في ثبير
ولقد غـزاها تُبَّع فكسا بَنِيتها الحبير
وأذلَّ ربي مُلْكـه فيها فأوفى بالنُّذُورْ

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

يمشي إليها حافياً بفنائها ألفا بعير
ويظل يُطعم أهلَها لحم المهارى والجزور
يسقيهم العسل المصفى والرخيض من الشعير
والفيل أهلك جيشه يرمون فيها بالصخور
والملك في أقصى البلاد وفي العاجم والخزير
فاسمع إذا حُدثت وافهـم كيف عاقبة الأمور

ويدعو أبو قيس بن الأسلت الذي كان من الحنفاء ورفض عبادة الأصنام إلى التمسح بأركان البيت : (ابن كثير،ج2، 2003: 150)

فقوموا فصلُّوا ربَّكم وتمسَّحوا بأركانِ هذا البيت بين الأخاشبِ

المبحث الخامس: البعث والمعاد

كان العرب في الجاهلية لايؤمنون ببعث ولا نشور وقد ذكر القرآن الكريم ذلك، قال تعالى:" وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين" 29 الأنعام وقال جلَّ وعلا " في موضع آخر من كتابه العزيز " وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر" الجاثية 24

لكن الاعتقاد بالبعث والمعاد لم يكن غائبا تماما عن العرب في الجاهلية فنلمس في بعض أشعارهم نزعة إلى التفكير في الحياة والموت والى البعث والحساب .

يقول النابغة الذبياني: (ديوانه،2005: 31).

يقولون حِصنٌ ثم تأبى نفوسُهُم وكيف بحصنٍ والجبالُ جموحُ
ولم تلفظِ الموتى القبورُ ولم تزل نجومُ السماء والأديمُ صحيحُ
فعمَّا قليل ثم جاشَ نَعِـيَّهُ فبات نَدِيَّ القوم وهو ينوحُ

تأبى النفوس تصديق خبر موت " حصن" يكذبون الخبر وتطمئن نفوسهم إلى تكذيب هذا الخبر ببقاء نظام الطبيعة، فالجبال راسيات والأرض لم تخرج أثقالها، هذه الأبيات تظهر إيمان النابغة بأهوال يوم القيامة

ويقول زهير بن أبي سلمى (ديوانه، 1964: 81)

فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما في نفوسِكُمْ ليخفَى ومهما يُكتمِ اللهُ يعلَمِ
يُؤخَّرْ فيُوضَعْ في كتابٍ فيُدَّخَرْ ليومِ الحسابِ أو يُعَجَّلْ فيُنْقَمِ

وقول أمية بن أبي الصلت في إشارة إلى المعاد والحساب: يقول (ديوانه، د.ت :93)

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

ربِّ لا تحرمنَّني جنة الخلد وكن رب بي رؤوفاً حفيا

ويقول:

كل حـي فإن ربي ميتـه ثم يبقــى لما قضى ويُعيده

يوم تجزى النفوس ما قدمت ثم تجـزى المساوئ والمزيده

وفي قول لبيد بن ربيعة العامري يقين بالفناء والبعث وإدراك بزوال الدنيا، وأن الله هو الباقي:(ديوانه، 1891: 28)

أرى النَّاسَ لايدرون ما قدْرُ أمرِهمْ بلى كل ذي لبٍّ إلى الله واسلُ

ألا كلُّ شيء ما خلا اللهَ باطل وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

ويقول مخاطباً امرأة تدعى أسماء يوصيها بالصبر على حوادث الدهر، فهي أقدار جلبها الله: (ديوانه: 54)

يا أسمَ صبراً على ما كان من حدث إن الحـوادث مَلْقِيٌ ومُنتظـرُ

صبراً على حدثان الدهر وانقبضي عن الدَّناءة إنَّ الحُـرَّ يصطبرُ

ولا تبيتـنَّ ذا هــمٍ تكابــدُهُ كأنما النار في الأحشاء تستعرُ

فمــا رُزقتَ فإن الله جالبــه وما حُرِمتَ فما يجري به القدرُ

وقول عبيد بن الأبرص (ديوانه، 1983: 26)

من يسأل الناس يحرِموه وسائل الله لا يخيبُ

ويقول:(امرؤ القيس، 2004: 141)

فاليوم أُسقى غيرَ مُسْتحقبٍ إثمـا من الله ولا واغـل

و يذكر في بيته الله ، وأنه يحلف حلفة فاجر، وهو مدرك بأنه يكذب وأن الكذب من الفجور يقول: (امرؤالقيس، 2004: 137)

فقلتُ يمين الله أبرحُ قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

حلفتُ لها بالله حِلفةَ فاجرٍ إثماً من الله ولا واغلِ

وتنسب إلى السموأل أحد شعراء يهود الجاهلية أبيات تستهل بالحديث عن نشأة الإنسان وحياته وبعثه بعد الموت ، يقول عنها شوقي ضيف " لا نكاد نقرأ فيها حتى نحس بأثر الصنعة والانتحال"(شوقي ضيف، 1960: 389) والأبيات هي: (ديوانه، 1992: 18)

نُطفةً ما مُنِيتُ يومَ مُنيتُ أُمِرَتْ أمرها وفيها بُريتُ

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

كنَّها اللهُ في مكان خَفيٍّ وخَفـيٌّ مكانُها لو خَفيتُ

ميتَ دهرٍ قد كنتُ ثم حَييتُ وحياتي رهنٌ بأن سأموتُ

وهذه قصيدة ينسبها ابن كثير لعدي بن زيد تحوي تذكيرا بفناء الدنيا وزوالها وتحذيرا من الغرور والتكبر لأن الدهر لا يرحم وأن مصائبه على كل إنسان:

يقول: (ابن كثير،ج2، 2003: 155)

أيها الشامت المعير بالدهر أأنت المبـر الموفـور

أم لديك العهد الوثيق من الأ يام بل أنت جاهل مغرور

من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير

أين كسـرى المـلوك أنو شروان أم أين قبله سابور

وبنو الأصفر الكرام ملوم الـ ـروم لم يبق منهم مذكور

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلـ ـة تجبى إليه والخابور

شاده مرمراً وجلله كلـ ـسا فللطير في ذراه وكور

لم يهبه ريب المنون فبا ن الملك عنه فبابه مهجور

وتذكر رب الخورنق إذ أشرف يوما وللهدى تفكير

سره ما له وكثرة ما يمـ ـلك والبحر معرضا والسدير

فارعوى قلبه وقال وما غبـ ـطة حي إلى الممات يصير

ثم أضحوا كأنهم ورق جفَّ فألـوت بـه الصبا والدبـور

لكن القرآن ذكر صراحة أنهم جاحدون ليوم البعث قال تعالى:" ولتصْغَى إليه أفئدةُ الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضَوه وليقترفُوا ما هُم مُقْترفُون"113 الأنعام

وقال:" إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ." 22 النحل

وغيرها من الآيات التي صرحت بأنهم لايؤمنون بالمعاد والبعث.

وقال عنهم ابن كثير " أما البعث والمعاد فكانوا جاحدين له كافرين به "

المبحث السادس: الشفاعة :

عبد العرب الأصنام وقدموا لها القرابين وأنزلوها منزلة لتكون لهم شفيعا فيما ينوبهم في أمور حياتهم، هذه الشفاعة لا تمت إلى البعث والمعاد وأنما هي توسط لهم لقضاء حوائجهم فكانوا يقدمون لها القرابين، كما سادت بين العرب في الجاهلية الشفاعة القبلية و تعنى في الجاهلية العفو أو التوسط

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

لرفع ضرر أو تخفيف عقاب أو لدرء القتل أو تأخيره حتى يتم التفاهم، وقد كان يُطلب من الشعراء التدخل بشعرهم لشحذ الهمم نحو الصلح وأبرز أبيات سجلها في هذا السياق الشاعر زهير بن أبي سلمى حين مدح الساعين في الصلح ودرء الفتن بين عبس وذبيان يقول مادحاً الحارث بن عوف وهرم بن سنان :(زهير بن أبي سلمى، 1964: 79)

فأقسمتُ بالبيتِ الذي طَافَ حَولَهُ رجالٌ بَنَوهُ من قُريشٍ وجُرْهُمِ
يميناً لنِعمَ السيدانِ وُجِدتُمَا على كلِّ حالٍ من سَحيلٍ ومُبْرَمِ
تداركْتُمَا عَبْسًا وذبيـانَ بعْدَمَا تَفَانوا ودقُّوا بينهُمْ عِطْـرَ مَنْشَمِ

المبحث السابع: الأديان السماوية (المسيحية واليهودية)

- ولم يكن كل العرب وثنيين فقد وجد من العرب من كان متأثراً بالأديان الأخرى كالنصرانية فقد كانت النصرانية منتشرة وتأثر بها أهل نجران وبلاد الشام واليمن وكان لها صداها في الشعر الجاهلي لكن حذر شوقي ضيف من الاعتقاد بأن من تنصروا " قاموا بتعاليم النصرانية قياما دقيقا، فقد عرفوا الكنائس والبيع والرهبان والأساقفة والصوامع؛ لكنهم ظلوا لا يتعمقون في هذا الدين الجديد وظلوا يخلطونه بغير قليل من وثنيتهم "(شوقي ضيف، 1960: 100 .101) يقول عدي بن زيد العبادي (الأصفهاني، ج2: 103)

سعى الأعداء لا يألون شراً عليَّ وربِّ مكة والصليبِ

فهو يجمع في قسمه بين مكة الوثنية والصليب.

وقول امرئ القيس يصف صاحبته بالبهاء :(امرؤالقيس، 1004: 46)

تُضِيءُ الظلامَ بالعِشاء كأنَّها مَنارةُ مُمْسَى راهبٍ مُتَبَتِّلِ

وقوله (امرؤالقيس، 2004: 64)

أصاح ترى برقاً أُريكَ وميضَهُ كلمعِ اليدين في جَنِّي مُكلَّلِ
يضيءُ سناهُ أو مصابيحُ راهبٍ أمالَ السَّليطَ في الذُّبال المُفتَّلِ

ومنه أيضا قول المرقش الأكبر:(المفضليات: 225)

وتسمع تزقاءً من البوم حولنا كما ضربتْ بعد الهدوّ النواقيسُ

ويذكر النابغة في مديحه للغساسنة بعض أعيادهم ، عيد الشعانين ويسميه السَّباسب فيقول:(النابغة الذبياني، 2005: 16)

رقاقُ النِّعال طيبٌ حُجُزاتُهُم يحيَّون بالريحان يوم السَّباسبِ

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

وذكر عيد الفصح في شعر أوس بن حجر :(أوس بن حجر، 1980: 84)

عليهِ كمصْباحِ العَزيزِ يَشُبُّهُ لِفِصْحٍ ويَحشوه الذُّبالَ المُفَتَّلا

وكان الأعشى كثير الترحال وقد استطاع أن يلم بقدر لا بأس به من أمور الديانة المسيحية واليهودية، اتضح ذلك في مدح ملوكهم وأمرائهم(زهير عبدالله،2009: 13) يقول ذاكرًا نجران وهي من معاقل المسيحية: يقول: (الأعشى،2005 :50)

وكعبةُ نَجرانَ حَتْمٌ عليـ ـكِ حتى تُناخي بأبوابِهَا

نزُورُ يزيدَ، وعبْدَالمسيحِ وقيساً، هُمُ خَيرُ أربَابِهَا

ويمدح قيس بن معديكرب الكندي فيصور السائلين يطوفون بأبوابه، كما يطوف النصارى ببيت الوثن ويقول: (الأعشى، 2005 :196)

يطوف العُفاةُ بأبوابِهِ كطَوْفِ النَّصَارى ببيتِ الوَثَنْ

ويقول: (الأعشى، 2005 :177)

فإني وثوبَي راهبِ اللُّجِّ، والتي بناها قُصَيٌّ والمُضَاضُ بنُ جُرْهِمِ

لئن جدَّ أسبابُ العَداوةِ بيْنَنَا لتَرْتَحِلَنْ مِنِّي على ظَهرِ شَيْهَمِ

" الأبيات تظهر فيها التاثيرات المسيحية بما يؤكد أن الأعشى كان على علم بأمر هذه الديانة ورهبانها وإن لم يوقن بها." (زهير عبدالله،2009 :13)

ويقول: (الأعشى، 2005:167)

إنَّ مَحَلًّا، وإنَّ مُرتحَلاً وإنَّ في السَّفْرِ ما مضى مَهَلا

استأثرَ اللهُ بالوفاءِ وبالـ ـعَدلِ وولَّى الملامَةَ الرَّجُلا

هذا يؤكد تأثره بالعِباديين نصارى الحيرة، فقد كان يأتيهم ويشتري منهم الخمر فلقنوه ذلك (الأصفهاني، ج 9،د.ت : 133)

أما تأثير اليهودية التي كانت منتشرة في اليمن والحجاز في يثرب وخيبر ووادي القرى وتيماء ليست كثيرة وإن وجدت فقد نلمسها عند شعراء استدعوا في نصوصهم شخصية موسى عليه السلام أو التوراة أو قصة نوح وغيرها. يقول أبوطالب:(ابن هشام،ج1،د.ت: 352)

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا نبياً كموسى خُط في أول الكتب

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

ويقول عبدالله بن الحارث في هجرته إلى الحبشة مشيرا إلى قريش وجحودها لدين الله مشبها فعلها بما فعلت عاد ومدين وثمود يقول (ابن هشام،ج1،د.ت: 331)

وتلك قريشٌ تجحدُ الله حقَّه كما جحدت عادٌ ومدينُ والحِجْرُ

وتنسب إلى أمية بن أبي الصلت أبياتاً تشير إلى سفينة نوح والطوفان

فأهلك الله قوما كان قد كثروا وأنجى الله نوحـا فـوق مرتفق

في فلك مشحون فوق موجتهم كالطود من فوق موج الماء منطبق

كما يشير النابغة الذبياني إلى قصة سليمان والجن التي ربما استلهمها من الحكايات التوراتية يقول: (النابغة الذبياني،2005: 34. 35)

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه ولا أحاشي من الأقوام من أحدِ

إلا سليمـانَ إذ قال الإلـه له قم في البريَّةِ فاحدُدْهَا عن الفَنَدِ

وخَيِّس الجِنُّ إني قد أذِنْتُ لهم يبنونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاح والعَمَدِ

فمن أطاعك فانفعْهُ بطاعتِهِ كما أطاعك وأدلُلْهُ على الرَّشَدِ

ومن عصاك فعاقِبْهُ مُعَاقبةً تَنْهى الظلومَ ولا تَقْعدْ على ضَمَدِ

إلا لمثلك أو مَنْ أنتَ سابِقُهُ سَبقَ الجَوادِ إذا استولى على الأمَدِ

ويعلق شوقي ضيف عن هذه الأبيات قائلاً" واضح أنه يسترسل في الحديث عن سليمان كأنه من أهل الكتب السماوية، وقد كان وثنياً على مذهب قومه(شوقي ضيف، 1960: 279)

ويرى طه حسين أن هذه الأبيات أُقْحِمتْ إقحاما في معلقة النابغة(طه حسين، في الأدب الجاهلي: 337) ، لكن أخبار سليمان والجن لم تكن غائبة عن العرب فقد كانت شائعة بينهم فلا غرابة أن تمثَّلَ بها النابغة (أنس داود، د.ت: 72) ، كما نقرأ لزهير بن أبي سلمى في شعره إشارة واضحة إلى قصة عاقر ناقة صالح الذي كان شؤماً على قومه :(زهير بن أبي سلمى، 1964 :82)

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

ومن تأثير طقوس اليهود ومعتقداتهم في الشعر الجاهلي قول الأعشى:(الأعشى، 2005: 187)

وصهباءَ طاف يهودِيُّهَا وأبْرَزَهَا وعليْهَا خُتُمْ

وقابَلَهَا الريحُ في دَنِّهَا وصَلَّى علَى دَنِّهَا وارتَسَمْ

هذه الصهباء طاف بها ساق يهودي ، وصلى على دنها قد تكون إشارة إلى طقوس كان يقوم بها اليهود قبل الشراب.

كما ينظم عدي بن زيد كثيرا من الحكايات المتوارثة التي تمثل جزءا من التراث العربي كنظمه لقصة الزباء وجذيمة وقصير الطالب الثائر(ابن قتيبة، 1966: 227).

المبحث الثامن: آثار الأساطير والمعتقدات الوثنية في الشعر:

لقد وردت في أشعار الجاهليين صور فنية تمتُ إلى الأساطير والشعائر القديمة، وهذا يبين وجه الارتباط الوثيق بالحياة الدينية والأساطير القديمة التي تسربت إلى صورهم الفنية.

في الشعر الجاهلي ذكر لأسماء آلهة وثنية مثل اللات والعزى ما يؤكد انتماء الشاعر للعقائد الوثنية، ويعتقد الكثير أن العرب عبدت الأصنام وشاع أنهم يتخذونها آلهة، والواقع أنهم عبدوها ولكن ليست آلهة وإنما هي وسيط بينهم وبين رب السموات. قال تعالى (ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) الزمر: 3 وفي تفسير هذه الآية يقول ابن كثير: " قال قتادة، والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد: (إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أي: ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة ، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك.

ذكر الشعر الجاهلي بقايا هذه المعتقدات والأساطير القديمة التي انتشرت آنذاك، والتي تعد امتدادا لمعتقدات الأجداد " فقد تسرب الكثير من صور الشعر القديم إلى شعر هذه الفترة المتأخرة" (علي البطل، 1980: 34) وإلى جانب هذه المعتقدات والأساطير انتشرت المسيحية واليهودية اللتان نلمس أثرهما بوضوح في أشعار كثير من الشعراء "حيث الأحبار والرهبان يبشرون بما يزعمون أنه من التوراة والإنجيل "(مصطفى الشوري، 1996: 66) لكن هذا التأثر كان" شكلياً لا يعدو أن يكون معرفة بتعاليم هذا الدين دون الإيمان به والاعتقاد فيه." (زهير عبدالله، 2009: 12)

جسد الشعر الجاهلي بعض هذا الموروث الديني بما فيه من معتقدات وأساطير، فنقرأ في شعر الأعشى ما يمثل هذه المعتقدات الموروثة التي تعكس تأثير الكهانة والسحر على العقل وهو تصور شائع في الجاهلية. يقول: (الأعشى

وكنت كذي لُبٍّ يريد رشاده فأصبح مسحورا بقول الكواهن

وفي قوله (الاعشى، 2005: 179)

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

إذا بُزِلَتْ من دَنِّهَا فاحَ ريحُهَا وقَدْأُخْرِجَتْ من أسْودِ الجَوفِ أدْهَمَا
لهَا حَارِسٌ مايَبرحُ الدَّهرَ بَيْتَهَا إذَا ذُبِحَتْ صلَّى عَليهَا وَزَمْزَمَا
ببابلَ لَمْ تُعْصَرْ، فجاءتْ سُلافَةٌ تُخَالِطُ قِنْدِيدًا ومِسْكًا مُخَتَّمَا

نجد اثارا واضحة لارتباط الخمر بالدين والطقوس، فقد كانت الخمر تدخل ركنا مهما فيها، ولتقديم الخمر تقاليد دينية تجعل الحارس الكاهن يؤدي صلاة معينة عند إخراجها من دنها ولاغرو فقد كانت الخمر شرابا مقدسا للإلهة (صموئيل نوح كريمر، 1973: 200) يبعث فيهم القوى المتفوقة الخارقة وكانت دم الإله ، تشرب في أعياد لاكتساب صفاته المقدسة .

ونلاحظ ارتباط الخمر بطقوس اليهود هذا الارتباط " يحمل إشارة دينية أيضا فغالبا ما يذكر الشعراء لفظة الناجود وأبرز معانيها أول الخمر وأول كل ناتج له منزلة مقدسة في الدين اليهودي وهي منزلة البكورية التي تقدس للرب" (علي البطل ،1980: 76)

يقول :(الأعشى، 2005: 187)

وصهباءَ طاف يهودِيُّهَا وأبْرَزَهَا وعليْهَا خُتُمْ
وقابَلَهَا الريحُ في دَنِّهَا وصَلَّى علَى دَنِّهَا وارتَسَمْ

كما عبدوا معبودات كثيرة ،يري جواد علي أن قيسا وذا الغابة من صور الإله " ود" إله القمر (علي البطل،1980: 238)منها عوض أو جد عوض، وكذلك "حلفن" حلفان الذي وجد اسمه في الكتابات المتعلقة بالمعاملات والعقود لإنزال النقمة بمن يغير نصوصها لذلك يظن أنه إله القسم أو اليمين (علي البطل،1980: 305. 308)

من الكلمات ماتسرب من معنى ديني وتحولت دلالته بعض التحول وإن بقي فيها مايشير إلى أصلها القديم، من ذلك كلمة "عوض" وهي اسم إله وقد وردت في شعر الأعشى في معرض القسم يقول:(الأعشى،2005: 129)

رَضيعي لبانِ ثَدْيِ أُمّ تَحَالفَا بأسْحَمَ داجٍ عَوْضُ لا نتفَرَّقُ

"وقد فسرها المفسرون بأنها تعني الدهرأو أبد الدهر، وللدهر ظلاله الدينية، وآلهة الزمان معروفة في الأديان القديمة، فهل عوض منها؟ أم أنهما أقسما وأشهدا الإله " عوض" على قسمهما فيكون مرادفاً لإله اليمن " حلفن" ولقد أقسم بجزء من الزمن: الليل من بين ما أقسم به القرآن الكريم جريا على العادة القديمة." (علي البطل، 1980: 48)

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

أما المرأة فقد ظهرت صورتها متشابكة ومتداخلة في شعر ماقبل الإسلام في هذه الصور تجسدت القيم القبلية والمفاهيم الدينية قبل الإسلام والتي كانت تمثل مزيجا من الموروث الديني الوثني وبعض بقايا الديانات السماوية (اليهودية والمسيحية والحنفية)

آمنت الوثنية بآلهة متعددة بعضها أنثوي (اللات والعزى ومناة) وهو ما يدل على التقديس النوعي للأنثى، والشعر الجاهلي نظر إلى المرأة نظرة وثنية فهي رمز للخصوبة والجمال

يقول : (امرؤ القيس، 1969: 331)

ويا رب يوم ناعم قد لهوته بمرتجة الحاذَينِ، ملتفة الحشا

برَهْرَهةٌ كالشمس في يوم صحوها تضيء ظلام البيت في ليلة الدجى

أسيلة مُسْتَنّ الوشاح، كأنما تكسر في أوراكها هابرُ النقا

مضمخة الردان، سهل حديثها لطيفة طي الكشح، وهْنَانَةِالخُطا

فيقدمها لنا تمثالا من " فينوسات لوسيل" مصوراً من كلمات يركز على تصوير الأعضاء الأنثوية التي تؤدي وظيفة الخصوبة تاركا الوجه بلا ملامح محددة، إذ يربطه بالشمس مباشرة، ثم ينصرف إلى إكمال الملامح الجسدية (إبراهيم عبدالرحمن، 1977: 63.69)

ويركز في أبياته التالية على الصور الحركية التي تحمل المعنى نفسه وهو الامتلاء والبدانة : (امرؤ القيس، 2004: 106)

وإذ هي تمشي كمشي النَّزيـ فِ يَصْرَعُهُ بالكثيب البُهُرْ

بَرَهْرَهَةٌ، رؤدَةٌ، رخصَةٌ كخُرْعُوبةِ البَانة المُنْفطِرِ

فتور القيام، قطيع الكلام ، تفْترُّ عن ذي غُروب خصر

فالشاعر هنا يكاد أن يجعل تصويره لها جسداً حياً متحركا، وفي تصويره هذا يحرص الشاعر على إبراز بدانتها " لأنه يحتذي صورة مثالية لامرأة كانت تقدس فيها صفة الخصوبة " (علي البطل، 1980 : 61) وهذه الصورة كثيرة الشيوع في الشعر العربي.

أيضا ارتبطت الصورة الجسدية للمرأة بالدمى والتماثيل وهي وثيقة الصلة بالدين القديم فقد كانت الدمى والتماثيل تقدم قرابين ونذورا في معابد الشمس الأم

يقول (الأعشى، 2005 : 106)

وقَدْ أرَاهَا وَسْطَ أترابِهَا في الحَيَّ ذي البَهْجَةِ والسَّامرِ

كَدُمْيَةٍ صُوّرَ مِحْرَابُها بمُذهَبٍ ذي مَرْمَرٍ ، مَائرِ

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

ويقول:(امرؤ القيس،2004: 94)

كأن دُمى شفعٍ على ظهرِ مرمر كسا مِربدَ الساجوم وشياً مُصَوَّرا

ويقول:(امرؤالقيس،2004: 136)

ويا رُبَّ يوم قد لهوتُ وليلةٍ بآنسةٍ كأنها خطُّ تمثالِ

ومن معتقداتهم أن عالم الجن عالم يتمتع بقوة تفوق قوة البشر، فقد كانوا يخافونه بل جعلوا بينه وبين الله نسباً تعالى الله عن زعمهم يقول عز وجل:" وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون." وزعموا لكل شاعر شيطانه يوحي إليه الشعر العظيم وفي ذلك يقول عبدالرزاق حميدة " الواقع والثابت أن الأقدمين لمسوا ما بين الشعر وما فوق الطبيعة من صلة، ترى ذلك في ايتمولوجيا اللغات واضحاً، عد إلى اشتقاق كلمة (جنون) في العربية وجينوس في اللاتينية ترى أن الجن في كل حالة مسئولون عن التفوق الذهني كما هم مسئولون عن الخبل العقلي" (عبدالرازق حميدة،10. 11).

يقول الراجز:

إني وإن كنت صغير السن وكان في العين نبو عني

فإن شيطاني أمير الجن يذهب بي في الشعر كل فن

وقال حسان في جاهليته:(خالد عبدالله الكرمي، 2017: 240)

إذا ما ترعـرع فينا الغلام فما أن يقال له: من هوْ ؟

إذا لم يسدْ قبل شـد الإزار فذلك فينا الذي لا هُوْ

ولي صاحبٌ من بني الشَّيصَبان فطورا أقولُ وطَورا هُوْ.

كما اعتقدوا وجود الغول فقد حدث عبيد بن أيوب العنبري عن نفسه أنه تزوج الغول (أنس داود، ت: 67) قال مصورا صحبته للجن والغول مفتخرا بشجاعته:

تقول وقد ألممت بالأمس لمة مخضبة الأطراف خرس الخلاخل

أهذا خدين الغول والذئب والذي يهيم بربات الحجال الهراكل

وأنه رأى ناراً أوقدتها الغول فأنس بها واهتدى قال:

فلله در الغول أي رفيقة لصاحب قفر في المهامه يذعر

أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت حوالي نيرانا تلوح وتزهر

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

و ذكر تأبط شرا أنه لقيها في ليلة ظلماء فنازلها وما زال بها حتى قتلها، يقول:(تأبط شراً،ط2 ، 1999 : 268)

ألا من مُبْلغٌ فتيان فَهمِ بما لاقيت عند رحى بطّانِ

وأني قد لقيتُ الغول تَهوي بسْهبٍ كالصحيفة صحْصحان

فقلتُ لها: كلانا نِضْو أرضٍ أخو سفر فخلِّي لي مكاني

فشدَّتْ شدَّةً نحوي فأهوى لها كفي بمصقولٍ يماني

فأضْربُها بلا دهَشٍ فخرَّتْ صريعا لليدين وللجران

فقالتْ: عُدْ، فقلتُ لها رويداً مكانك إنني ثبتُ الجنانِ

فلا أنفكُ متكئاً عليها لأنظر مصبحاً ماذا أتاني

إذا عينان في رأس قبيحٍ كرأس الهرّ مشقوق اللسان

وساقا مُخدجٍ وسراةُ كلبٍ وثوبٌ من عباءٍ أو شنانِ

لقد مثلت هذه المعتقدات و الأساطير جزءاً من حياة خيالية للعرب استطاعوا فيها أن يجسموا الرؤى ويشخصوها

الخاتمــة:

سعت هذه الدراسة الموسومة بـ " البُعدُ العَقَدي في الشعر الجاهلي" إلى إبراز الجانب الروحي لحياة هذا العصر وتبيان البعد العقدي من خلال الموروث الشعري والأخبار، وهذا الأمر يصعب أن نصل فيه نتائج يقينية فيما يخص هذا الجانب لافتقارنا إلى دراسة أنثروبولوجية يُستند إليها في مثل هذه الدراسات، كما أننا ندرك أن ما وصلنا مما قالت العرب إلا أقله؛فمن المؤكد أنهم كانوا يصلون لآلهتهم ويخاطبونها ويتقربون إليها بيد أن موضوعاتهم درست وانمحت لبعد المسافة الزمنية و لقلة التدوين المبكر، فكثير من الشعر لم يدون إلا بعد فترات طويلة من بعثة الإسلام، ومعظم ما وصل إلينا محرفاً أومختاراً ومجزأ، بالإضافة تجاهل الرواة للأشعار الوثنية وانصرافهم عن حفظها لأنها وثنية، فبعض الأشعار التي ذكرت في البحث لم أعثر عليها في دواوين شعرائها ونُسبتها إليهم مصادر أخرى ، فعدم إثباتها في دواوينهم إخفاء لمعالم الوثنية وهذا ما ذهب إليه الدكتور أنس داود إذ غُيرت كلمات وأهملت أبيات واخترعت أخرى ليظهر الشعر الجاهلي كأن لم يمسه سوء.

لكننا نعثر في أشعارهم على ومضات تمثل الجانب العقدي، بعضها يشير إلى عقيدة التوحيد، ذات تأملات روحية منبثقة عن الفطرة الدينية، لقد أدرك بعض الشعراء عجز الأصنام وضعفها وعدم

Benghazi University
Faculty of Arts and Science
Al – Marj
Journal of Science and Humanities
ISSN : 2312 – 4962

جامعة بنغازي
كلية الآداب والعلوم – المرج
مجلة العلوم والدراسات الانسانية
رقم الايداع بدار الكتب الوطنية 284 / 2014

JSH

مقدرتها على جلب النفع ودفع الضرر، فتراجعت عبادتها وقد أدَّتْ عوامل متعددة إلى تراجعها أهمها:

تغلغل حركات التبشير بالدين المسيحي واليهودي بالإضافة إلى ظهور نزعة الحنفاء الذين رفضوا عبادة الأصنام ودانوا بالوحيد.

أما صلاتهم فقد وصفها القرآن بأنها كانت تصفيقاً وتصفيراً وهم يطوفون بالكعبة، ويزعمون أن أصنامهم تقربهم إلى الله زلفى، ولتكون شفعاء لهم فيما ينوبهم في أمور حياتهم.

وتشير أشعارهم إلى أنهم كانوا يقسمون بالأنصاب والأزلام إذا أرادوا الإقدام على أمر ما، فكانت الأزلام وسيلة لاتخاذ القرار أما النُّصُب فكانت مواضع الذبح، وفي أشعارهم نلمس المكانة العظيمة لمكة لأنهم عرفوا أنها بيت إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، لكن التلبية عند الطواف ربما كانت تختلف من قبيلة إلى أخرى، فيذكر ابن الكلبي أن قريشَ كانت تطوف بالكعبة وفي طوفانها تذكر اللات والعُزَّى ومناة الثالثة الأخرى، لكننا لا نغفل أشعار بعض الشعراء الذين أشاروا في شعرهم إلى عظمة الكعبة وأقسموا بها وإن كان هذا قليلا في أشعارهم .

ويذكر القرآن الكريم أنهم لا يؤمنون ببعث ونشور وإن لم يكن غائبا عند قليل منهم كما ورد في شعر النابغة ولبيد بن ربيعة وزهير بن أبي سلمى.

وكان لانتشار الديانة المسيحية تأثير في أشعارهم وهذا يظهر بوضوح في ذكرهم طقوس النصارى وذكر الأحبار والرهبان و البيع والكنائس، والأساقفة والخمر وطقوسها، إلى جانب اليهودية التي كانت منتشرة في اليمن والحجاز ويثرب وغيرها إذ نلمس تأثيرها الواضح في الشعر فقد استدعى الشعراء في نصوصهم شخصيات وردت في الكتب التوراتية كقصة نوح والطوفان وسليمان والجن وغيرهما على نحو ما نقرأه في ديوان أمية بن أبي الصلت، لكنهم لم يتعمقوا في هاتين الديانتين ، وإنما خلطوهما بغير قليل من الوثنية.

أما المعتقدات الأساطير فقد مثلت جزءًا من حياة خيالية للعرب استطاعوا فيها أن يجسموا الرؤى وأن يشخصوها.

لقد قدَّسُوا الأوثان والأصنام واتخذوها وسيطا بينهم وبين رب السموات، كما وجدت في أشعارهم إشارة إلى معبودات أخر (ود إله القمر، عوض وهي اسم إله) إضافة إلى المعتقدات والأساطير التي تعكس تأثير الكهانة والسحر على العقل والإشارة إلى بعض الطقوس المتعلقة بالخمر كالصلاة

التي يؤديها الحارس عند إخراجها من دنِّها، وقد جاءت صورهم الفنية مزيجا من الموروث الديني الوثني.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. إبراهيم عبدالرحمن، قضايا الشعر في النقد العربي ، مكتبة الشباب، 1977.
3. أحمد الحوفي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، ط1.
4. الأصفهاني، الأغاني، ج3، ج4، شرحه وكتب هوامشه سمير جابر، دار الفكر، د.ت،د.ب.
5. الأصفهاني، الأغاني ج2، ج 9 ، ج20 ، شرحه وكتب هوامشه عَبد أ. علي مهنَّا، دار الفكر ، د.ت.
6. الأعشى الأكبر، ديوانه، اعتنى به وشرحه عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت،ط1، 2005.
7. امرؤ القيس، ديوانه، اعتنى به وشرحه عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت،ط2004،2.
8. امرؤ القيس، ديوانه،تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة،ط3، 1969.
9. أمية بن أبي الصلت، ديوانه، شرح سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،د.ت.
10. أنس داود، الأسطورة في الشعر العربي الحديث، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان د.ب، د.ت.
11. أوس بن حجر، ديوانه، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم،دار بيروت، بيروت، 1980.
12. بدوي طبانة، معلقات العرب، د.ت.
13. تأبط شرا، ديوانه وأخباره، جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر،دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط2، 1999.
14. جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1/ ج5/ ج6
15. ابن حبيب، المحبر، طبعة حيدر آباد
16. حسان بن ثابت، ديوانه

17. خالد عبدالله الكرمي، جامع نوادر وأساطير وأمثال العرب، د.ب، 2017.

18. زهير بن أبي سلمى،ديوانه، دار لبنان للطباعة والنشر، ودار بيروت، بيروت، 1964.

19. زهير عبدالله المدخلي، فن المديح عند الأعشى(دراسة فنية)، رسالة

20. ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2009.

21. ابن سلام ، طبقات الشعراء ، مطبعة بريل في مدينة ليْدَن، 1913. مع مقدمة تحليلية للكتاب ودراسة نقدية منذ الجاهلية إلى صدر الإسلام، إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1968.

22. السموأل، ديوانه

23. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط2 ،1960

24. صموئيل نوح كريمر، السومريون تاريخهم، وحضارتهم، وخصائصهم،ترجمة فيصل الوائلي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973.

25. الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن ج23، ج26، ج27، دار المعرفة، بيروت،1992.

26. عبدالرازق حميدة، شياطين الشعراء

27. عبيد بن الأبرص، ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،1983.

28. عدي بن زيد، ديوانه

29. علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس ، ط1، 1980.

30. عمر بن جابر الحارثي، ديوانه.

31. عنترة بن شداد، ديوانه، قدَّم له وعلق حواشيه سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،1981.

32. ابن قتيبة، الشعر والشعراء،ج1، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، 1966.

33. ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ج2، خرَّج أحاديثه أحمد بن شعبان بن أحمد و محمد بن عيادي بن عبدالحليم، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط 1، 2003.

34. الكلبي ، الأصنام ، نشره أحمد كمل زكي، أصدرته الدار القومية ، القاهرة، 1905.

35. لبيد بن ربيعة، ديوانه، تحقيق كارل بروكلمان، مطبعة بريل، ليدن،هولندا،ط1891،1.

36. المرقش الأكبر، ديوانه،

37. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، تحقيق يوسف أسعد داغر، دار الأندلس ،بيروت، ط2، 1973

38. مصطفى تلوين، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، دار الفارابي بيروت، 2011.

39. مصطفى الشوري، الشعر الجاهلي- تفسير أسطوري ، الشركة

40. المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط1، 1996.

41. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ودار بيروت، 2005.

42. النابغة الذبياني، ديوانه، اعتنى به حمدو طمَّاس،دار المعرفة،بيروت،ط2005،2.

43. ابن هشام، السيرة النبويةج1، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي.

44. يوسف شكري فرحات ، ديوان المروءة – السموأل/ حاتم الطائي/ عدي بن زيد- دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.